التشفير و الما وراء لسانية في رواية "التفكك" لـــ رشيد بوجدرة

أ/ عايدة حوشي
جامعة عبد الرحمن ميرة ببجاية

الشفرة هي اللغة التي نستعملها حتى نتواصل مع الآخرين، لنتعرف على نظام اتفاقي من قوانين تسمح بالإنتاجية و فهم النص،إذ التشفير هو جرد للرموز متبوعة بمجموعة من القواعد التي تخص نظام الكلمات المشفرة ،وغالبا ما تكون موضوعة بموازاة القاموس : نعني في شكلها اللغوي بينما إذا كانت اصطناعية مشتقة فإنها تتجاوز القاموسية إلى مرحلة إيحائية ، وهنا نجد أسس معالجتها في ضوء تجزيئها إلى مجموعة حدود العلامات أو وحدات تنتزع من المورفولوجيا ، لكن أيضا إجراءات لتنظيم اللغة وتركيباتها حتى تسمح بإنتاجية المعنى ، فعند السيميائيين نجد إجماعا حول هذه التسمية إذ تعني مجموع وحدات غير منتهية ، لا يدخل بينها إلا رابط وحيد محكم جدا يؤسس على مجموعة من التنظيمات المعجمية 1 .

يرى **أمبرتو إيكو***(Umberto Eco)*: إن نظرية في الشفرات تعنى ببنية الوظيفة الدليلية ،وقواعد تأليفها أي الإمكان العام للتشفير و الاستشفار ولذلك تصدر هذه العملية عن منظور تحليلي جزئي يصبح ما تعودنا اعتباره أشكالا عادية جزءا آخر ... يكون فيه ما يسمى أشياء المظهر السطحي الذي تتخذه شبكة ضمنية من الوحدا[2]ت الأكثر أولية ، وهذا ما يقصد به التوصل إلى المعنى العادي الموجود في العرف بقدر ما هو سمة تنتمي إلى عالم التجريد وإنتاجيات الدليل بوصفه مؤطرا ضمن إطار ثقافي يوجه مضامينه[3] ،وبالتالي نجد أهم ما يساهم في إحالة المستوى التشفيري ؛ القيمةالتي تصدر عن تركيب الشفرة ذاتها خاصة القيم التعارضية[4]، لأنها ستعمل إلى جانب الحقول التي تفرضها الفئات

---

[1] A. J. G. et J. C. Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage .Tome 1. Hachette. Paris.1979. p 39 :

[2] مايكل ريفاتير. دلائليات الشعر. تر: محمد معتصم.مطبعة النجاح الجديدة .الدار البيضاء .ط.1 .1997 ص :LXIV (التوطئة).

[3] A. J. G. et J. C. Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage. p :334

[4] U Eco : Structure absente introduction à la recherche sémiotique .trad : Uccio Esposito Torrigiani.Mercure de France1984. p :56

التشفيرية سواء القوية منها أم الضعيفة ، فالجدير بالذكر هنا هو أن تواجد الشفرة الدنيا يوجه لها قوة خاصة في أي نص من النصوص :

طابع التشفير في" التفكك":

إذا سرنا وفق نمط **بارثي** في (s/z) 1 سنتبع هذه السلسلة :

ــ **شفرة الفراسة** :طابع غلاف **التفكك** ذو تشفير ضعيف نسبيا بالمعنى السيميائي، النص غير مترجم وصرح بجنسه الروائي فلماذا اختار المشفر هذا العنوان؟ هل **التفكك**؛ تفكك فعلي بوصفه مصدرا لفعل فكك، نقول قيمة الضعف الأولي تحفز قوة في وظيفية النص ككل باعتباره جملة كبرى ...

ــ **الشفرة التأويلية** :عبر عنصري الإشارة والتجاوزالمستخدمين من طرف المشفر استوقفتنا عدة نماذج:

ــ متناسيا تلك الصورة...و فجأة تسقط أمامه حمامة سمينة (05)

ــ أما الصورة فيتناساها ويشعر بخفة غريبة تصعد جيوبه(6)

ــ و يخرج الصورة خلسة من جيبه و(إنها مستطيلة الشكل، بنية ...) (6)

ــ لكن الصورة...(7)

ــ لقد فقدت الصورة البنية لونها ولم يبق له شيء سواها...(9)

ــ ويفكر في إخراج الصورة من جيبه و يتردد ثم يعدل ...(13)

ــ ويخرج من الجيب الأيسر الداخلي الصورة البنية المرقوشة بطابع الأعوام و الشوادن و يروح يحدق فيها ... من أنا ...(14)

ــ يتفرس في الأشخاص الماثلين في الصورة كل على حدة : أين الدكتور؟(14)

ــ الصورة...الصورة ...يريد في أن يختفي في خزانة جسده...(18)

ــ أما عن الصورة ...تريد إبادة الزمن وسحق الوقت ...(22)

ــ لنعد إلى الصورة بعض الأسماء فاه بها في شبه غيبوبة (35)

ــ هل هؤلاء هم الأشخاص الموجودون على الصورة(35)

ــ " أعطيني الصورة " فلا يرد(35)

ــ و فجأة يخرج الصورة و يدفع بها نحوها (36)

---

[1] R Barthes .(s/z) coll « tel quel »Seuil Paris 1970

بداية كهذه لا تشكل شبكة تأويلية وحسب ،بل حلقات من التأشيرات و الألغاز1، كذلك يسعى مفكك السنن من خلالها إلى التوصل إلى كنه الصورة عبر الصفحات المتتالية، والهام في هذه المحاولة هو قوة الصورة بوصفها ولدت شفرات أخرى ؛ كالتاريخ و الهوية رغم أنها لن تفك إلا في الصفحة المائة والاثنين و السبعين و بالتالي جعل المستفيد في كل مرة يريد كمية معلومات إضافية (إنتروبيا).

الشفرات الثقافية :

ثقافة هذا النص (جملة كبرى) خاصة جدا و مشفرة بمنطق التوالدات والتعارضات والإزدواجية في التفكير الذي ينعكس بلغة الإيحاء الكبير، إذ تعارضت السلوكات الشخصية مع المعتقد، وأصول الجنس مع الأصول الإسلامية، كما أن سلوكات المجتمع كذلك لم تشذ عن القاعدة وذلك مع إقرار بالإلحاد المؤقت (113_279)فلقد أراد المسنن توجيه هذه الشفرة بتعارضات السلوكات في المجتمع لكنه فشل في ذلك، فمن خلال بيان تمفصلها يكون مستوى التشفير مراوغة لتشكيل طابع الأسلوب الموظف في النص، كالذي نلاحظه من إيديولوجيا مدرس قرآن (الطاهر الغمري) :

ــ أترك لكم مكتبتكم يزنى فيها (179)

إن هذه الوقائع بمثابة الظاهرة الثقافية التي" هي نفسها دليل ،وبصفتها كذلك فإنها ليست سوى نسق دلالة ،مادام الأمر يتعلق بمجرد تسمية الشيء، أي ما دام الأمر يتعلق بربط شيء حاضر(دال) بشيء غائب (مدلول) ،هذا وإن كان يمكنها أن تكون سيرورة تواصل أيضا "2 فالعلاقة الجدلية التي وظفها رشيد بوجدرة داخل مجتمع واحد تضاعفت إلى علاقة جدلية داخل مجتمعين أي : التفكير وفق ثقافة و التعبير بآليات ثقافة أخرى ، وإن كان هذا التجريد لايهم نظرية في التشفير إلا أن مجالا أصعب منه هو: "عندما تصل درجة المؤولات إلى التحليل المكوني الذي يشكل دلائل تعارضية تسمى السمامات (semémes) ،بوصفها تتحدد بلغة القيمة التعارضية أو الاختلافية، والموقع الذي تحتله

---

[1] هذا الأسلوب استخدمه الجاحظ في باب " من اللغز في الجواب " الذي يعكس عدم الإقرار بالمعلومات دفعة واحدة بل بتجزيء الشيء لمزيد من التوضيح أنظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . البيان والتبيين. تحق: عبد السلام محمد هارون .ج 2 .دار الجيل بيروت . ص: من 147 إلى 151

[2] مايكل ريفاتير . دلائليات الشعر .ص:LXII (التوطئة)

وحدة ثقافية بالقياس إلى وحدة أو وحدات ثقافية أخرى 1، لأنها لا تعادل سمات موجودة بالفعل في قاموس بلغة علمية تبرز صنفها ونوعها2.

الشفرات الإيحائية : ضمن هذا المستوى لا نجد شفرة واحدة بل شفرات كثيرة [3]، إذ نجد مايلي:

الصورة ــ التاريخ ــ النظرة الاجتماعية ــ المعتقد ــ الجنس .

من خلال الصورة تبدأ التفرعات ، وتتوالد الشفرات أي: " ما إن نتعرف على نوى مشتركة للإيحاءات حتى نضفي على النص ثيمة"[4]، فالصورة ثيمة تاريخ مرجإ وعلاقة **للطاهر الغمري** بماضيه الثوري ، و حاضره الذي يمثل هويته فيمابعد الثورة :

أليست وثيقة فاضحة ،تعبر أكثر من أية ورقة رسمية أخرى (11)

وأنت صورة نسخة طبق الأصل عن الإنسان العربي، تخاف من الأسلاف وتتفاخر بهم ، الأسلاف يبهرونك و يقززونك ...بالمشكل الزمن والفضاء عند العرب (22)

إنها أحسن من بطاقة تعريف وأصلح من تمثال أو نصب تذكاري (68)

لم يلصقها على الحائط إلا بعد أن أنهى صلته مع الحياة وفهم أنه على وشك فراقها (267)

والتاريخ بهذا يقود إلى واقع المجتمع نالذي هو بحاجة إلى البحث عن هويته من خلال هذه الحالات:

الحال الأولى:زخامة التاريخ تتلخص في بعض قواعد ذاتية(89)؛ هنا اعتبر التاريخ سخرية و ألعوبة وخرافة ومحاجية وخدعة ...

الحال الثانية: التاريخ لايصنع ولا يصنعه أحد إنه كالعشب نراه ينبت ساعة ينبت (217)؛هنا **سالمة** بوصفها موجهة تشفير تعمل على إقناع **الطاهر** بخوض الحياة...لأن مخالفة الواقع الاجتماعي هو إحلال إلى النواة المركزية (الصورة)،فب" حملك إياهم تقتلهم ثانية ــ تقول سالمة ــ(108)،الشيء الذي يساهم في تغذية الشفرات الموالية؛

---

[1] المرجع نفسه . ص: LXIV (التوطئة)

[2] (nous verrons que ces composantes ne sont pas nécessairemeent celles que le dictionnaire associé à un lexème donné ni celles pourraient résultées d'une définition scientifique par genre et par espèce) . Voir Umberto Eco . Structure absente . p : 96 .

[3] روبرت شولز.السيمياء والتأويل .تر: سعيد الغانمي . المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر . ط1 1994. ص: 168

[4] المرجع نفسه. ص:ن.

الحال التوفيقية: تقديم الطرح الموضوعي (279) ؛فالتاريخ قبلي وبعدي حتمي وليس حقا فرديا بل جماعي.

أما شفرة البحث عن الهوية فقد تموقعت داخل صخب الحياة وتحددت بتعارض(المعتقدVSوالجنس) ،فهناك تحويل لقاعدة تشفيرية كان من الأولى أن تحدث تماشيا منطقيا لكن المسنن آثر عرضها متعارضة مفككة...

الشفرات الرمزية :

الرمز:"دليل يتصل بموضوع يدل على قانون جماعي لأفكارنا "[1]،إنه لا يمكن أن يحقق معناه إلا بوصفه موضوعا : فمن الشفرات القوية رمزيا:الحبقة،السفينة، الطوفان،شجرة الكستناء،النملة،المذكرات،المدينة.

فالرموز ثلاثة أصناف؛إما أن تكون رموزا "لاتمثل مباشرة سوى الأسس أو الخواص التقييدية التي لاتؤلف سوى أعداد من العلامات أو حدود المعاني "[2]،أو أن تكون "حرة تحدد الموضوعات عن طريق معاني أخرى أو العديد من المعاني الأخرى، بواسطة قانون خاص فإما أن تكون صحيحة أو تكون خاطئة"[3]،كما قد تكون رموزا تحدد مفهومات مؤولاتها و كذلك الأفكار التي يتصلون من خلالها،أي العناصر التي يطرحونها وفق منطق معين ومعطيات متعددة[4].

لقد شكل العرين والحبقة رمزين حرين ،لأن الحبقة تبرز درجة من الضعف داخل أصيص نباتي تعبر داخل ضعفها وهشاشتها عن قوة الجنس عند **الطاهر الغمري**، وإلى جانبها يرمز العرين إلى نقطة التقاء الرجل بماضيه وحاضره، انتماء ولا انتماء؛ رمز غير صالح للواقع الذي يحياه، أما الميناء فهو مركز الذهاب والإياب ؛ جانب هام من الهوية التي يبحث عنها **الطاهر الغمري** ،والتي تدخل في هوية الشعب الجزائري (دخول وخروج المستدمر)، ولا سيما المدينة التي تشكل حضورا مؤرقا وضياعا يخشاه الطاهر وتهيم فيه سالمة، أما السفينة فهي رمز النجاة والسفر ن وما يقابل الحمامات فهو الغانيات ونساء الشوارع، إنه رمز يحدد مفهوم مؤوله عن الطاهر الغمري ذاته يشترك في مفهومه

[1] Charles Sanders Peirce .Philosophical writings of Peirce.ed:Justus Buchler .Dover pub . New York. 1940. p: 102.
[2] Charles Sanders Peirce. Textes fondamentaux de sémiotique .tr : Berthe Fouchier . Axelsen. Clara Foz . Méridien .paris 1987.p :31 .
[3] Ibid .Mp.
[4] Ibid.Mp.

ــ أي الرمزــ والرموز الحرة في كونه يحتمل أن يكون خطأ ، فليس لهذا الرمز قاعدته التعارفية كالذكاء الذي يتطابق مع لعبة الشطرنج لأن الحمامات رمز اعتبره **الطاهر الغمري** ؛متطابقا ومرموزه (النساء) ، فهو لا يشكل إلا جانبا من مشية أو لون فقط، الشيء الذي يعكس طرحا خاصا ومذهبا أخص في نوعية التواصل مع النص ضمن ما فرضه رمز على حساب رمز آخر،أما باقي الرموز فحاضر بقوة الذاكرة لأنه من النوع الثالث .

ذلك أن **بورس**(***Charles Sanders Peirce***)[1] يبرز علاقة هامة بين نوعين من الرموز؛ المكتوبة والشفوية، فكل ما عرضناه من الرموز المكتوبة استدعى الحضور ، أمالو كانت شفوية فهذا يعني أنها لا توجد إلا في تفكير المرسل ، يبقى أن نشير إلى جانب هام هو ان اللاحالات (الشفرات المفككة)[2]، التي يوظفها **رشيد بوجدرة** هي شفرات توضع موضع خصوصية تسنينه في نصه،بخاصة الشذوذ واللاطبيعية ،والإيغال الحاصل في مجال التفكيك الأسلوبي و السياقي...

الوظيفة الماوراء لسانية :هي الوظيفة التفكيرية للغة كل الكلمات في مدلولها و ليس فيما ترمز إليه (antonyme) التي توجه باعتبارها غير موظفة ضمن إطار ذي دلالة عادية بل موراة[3]، فتوجيهات **جاكو بسون**(***Roman Jackobson***) بهذا الخصوص لا تبرز حدا لسانيا و حسب بل في عمومه لغويا حتى في اللغة العادية لكل يوم، فحينما نتحدث عن الموضوعات و الماوراء لغوي (Métalangage)[4] نتحدث عن اللغة ذاتها، لأن الماوراء لغوي ليس دائما أداة عملية ضرورية في الاستعمال عند المناطقة أو الألسنيين، لأنها تلعب دورا هاما في لغة كل يوم، أي أن الخطاب متمركز حول الشفرة و يملأ وظيفة الماوراء لسانية[5]، تماما كما تكون النظم التشفيرية الموجهة من

[1] Opcit. p :41.

[2] « donc les insituations sont des codes la preuve en est que lorsque ont les respets ou leur désobéit il ne s'ensuit pas des cas de mensonges mes seulement des cas de corrections ou d'une correction »voir U Eco :Sémiotique et philosophie du langage .p u f paris 1994.p : 261.

[3] Véronique Schott Bourget. Approches de la linguistique. Ed. Nathan. Université de Paris, 1994. p : 97.

[4] A. J. G. et J. C. Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage. p : 224.

[5] R. J. Essais de linguistique générale .linguistique et poétique .ed.de minuit .paris .1963. p : 218.

خلال العناصر التي تشكل الوحدات الملفتة للإنتباه في النص، فالماوراء لغوية يمكن أن تبرز ضمن مستويات كثيرة ما وراء لسانية وهي مستويات تطرح نوعين من المشكلات :

- من جهة مجموع العبارات إذا اجتمعت مرة، هل يمكننا توضيح الماوراء لغوية؟ أي هل تتوفر على تمظهرات ابتدائية تحدد السيميوطيقا؟

- كذلك من جانب آخر، الإقصاء لكل الجمل الماوراءلسانية، هل تمكن من إعطاء لغة صافية من التأشير (Dénotation)؟

حسب هذا التجد يد لا يمكن أن نقف عند إجابة إيجابية دائما، ذلك أن السيمياء بوصفها مجموع نظم من العلامات لا يمكنها إلا أن تتجاوز هذا الإطار للماوراءلسانية، لأنه إثبات (Constatation) حدد منذ **دي سويسير(Ferdinand De Saussure)**، مشكل الماوراء لغوي غير العملي (Métalangage non scientifique) يطرح أيضا في السيميو طيقا، و بالتالي مجموع العلاقات بين اللسانيات و السيموطقيا عامة يبقى موضوع تساؤل[1]، و يجعلنا نلحق تعريف الماوراء لساني بما هو وراء سيميوطيقي، أي هل هما واحد؟

من ناحية أخرى بيان الوظيفة الماوراءلسانية في ضوء الشفرات التي يحتويها **التفكك**، يجعلنا نبرز جانبا ماوراءسيميوطيقي، فلقد اهتم **هيمسليف(*Louis Hjelmsleiv*)** بهذا الجانب ضمن جهود موقفه بين اللسانيات والسيميوطيقا، محققا مرتبة (Hiérarchie)* لا تخص الكلمات و الجمل و حسب، بل المفاهيم المحددة لأن مخطط العبارة أو الدال المقرر إحلالي (Commutable)[2].

فمن جهة سيميوطيقية يميز **هيمسليف** السيموطيقا ذات الدلالة المرافقة (غير العملية) عن الماوراء سيميوطيقا العملية، تماما كما ميزت اللسانيات بدورها[3]، فالتميز الذي يستطيع تأسيسه **غريماس** بين السيميولوجيا (La sémoitique et la semiologie)، و علوم الطبيعة، و علم الإنسان هو على الأقل ضمن مستوى النماذج البراديغماتية المختارة لمناقشة هذه الفكرة؛ ليس تميزا بنائيا، بل إجرائيا (De

[1] A. J. G. et J. C. Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage. p : 224 - 225 - 226.
[2] L. H. Essais linguistiques. Ed. De minuit. 1971. p : 112.
[3] A. J. G. et J. C. Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage. p : 228.

procédure)، تماما كما يفعل اللساني حين يجرب الصلابة الشكلية للنموذج الأنثربولوجي بوصفه لمعناه بين قوسين[1].

إن السابق لمصطلحي السيميو طيقا والسيميولوجيا أي (الماوراء : Meta)، هو العامل المبرز لطابع توجه كل منهما من غير أن يعالج ضمن إطار دلالي (Sémantique) وحسب، بل إن نظرية دلالية، تكون ماوراء سيميولوجية لسيميوطيقا سيميولوجيات بالمرة الواحدة، فهذا التوجه **الغريماسي(*Algirdas Julien Greimas*)** و إن وجه تحديدات بين المصطلحات بغية التوصل إلى ضبط دقيق للمفاهيم، يبقى ضبطا غير هين بل جد معقد و لا يعطي إجراءا للموضوعة، بقدر مايوجه العناية لشبكة من التعقيدات لا تساهم في إعطاء الإجراء، بل تبقي السؤال مطروحا بين جغرافية سيموطيقية و أخرى سيميولوجية.

يعرض **امبرتو إيكو** من جانبه للتركيبة الخاصة بالشفرة بشكل توضيحي هام في مجال السيميوطيقا و اقترانها باللسانيات، فمفهوم الشفرة سلسلة واسعة من النظم الدلالية[2]، لأن الوظيفة الماوراءلسانية تتمركز أساسا "حول السنن المشترك بين المرسل والمرسل إليه"[3]، و تابعة بالضرورة إلى طابع التشفير في النص، ولبيان الميتالغوية الخاصة بهذه الوحدات يبرز "رولان بارث" عن جهود **هيمسليف** نظاما من المعاني يحمل مستوى تعبيريا (تع/E)، ومستوى للمضمون (مض/ C)، أما المعنى فمتعلق بالعلاقة الموجودة بين الإثنين (تع، عل، مض)، (C, RC, E)، و كل نظام شبيه بهذا النظام يتحول بدوره إلى نظام ثان يتسع فيصبح لدينا نظامان متراصان[4] (Imbriqués) الواحد في الأخر،في اتصال علائقي بين مستوى التعبير، ومستوى المضمون، أما سقوط التماسك (Décrochage) بين المستويين، فيمكن أن يتحقق وفق وجهتين مختلفتين، بخصوص نقطة الإرتباط (Insertion) الخاصة بالمستوى الأول في الثاني، أين يعطي لهما المكان للتعارض.

---

[1] A. J. G. Du sens.essais sémiotique .ed du seuil . paris 1970. p : 34.

[2] U. E. La structure absente. p : 110.

[3] ميكائيل ريفاتير. معايير تحليل الأسلوب. تروتع وتق: حميد لحميداني. منشورات سال.ط1 مارس/ 1993 ص: 68.

[4] R. B. Eléments de sémiologie . communication n :4 seuil .paris 1966. p : 130.

ففي الحال الأولى :

2- مستوى التعبير (تابع) العلاقة (عل) مستوى المضمون (مض)

1- تع-عل-مض

هذا ما يسميه سيميوطيقا الدلالة الإيحائية (Commutative)، أي ذات مفهوم مرافق للمفهوم الأصلي خاص بالمستوى ذي الدلالة التأثيرية (Dénotation)، أما الثاني فمخطط للدلالة غير المباشرة نقول : إن نظاما دلاليا غير مباشر ينبني أساسا من خلال مستوى من المعاني و حالات خاصة به.

أما الحال الثانية :

أي سقوط التماسك في النظام الأول (تع – عل - مض)، أين لا يصبح مخطط العبارة من المفاهيم المرافقة ذات الدلالة غير المباشرة، إنما مخططا لمضمون المدلول داخل النظام الثاني:

2- مستوى التعبير (تابع) العلاقة (عل) مستوى المضمون (مض)

1- تع – عل – مض

أو أيضا (عل. مض (تع.عل.مض)) هو حال كل الميتالغوية، التي تعد نظاما أين يتكون مستوى المضمون من نظام الدلالات (المعاني)، فهي سيميوطيقا تماثل هذا الإزدواج في التوجه[1] من خلال الشكل الموالي [2]:

الدال	المدلول	
	الدال	المدلول

الماوراءلسانية
(Métalinguistique)

إذا أخذنا جملة الدوال لابد أن نبرز في مستوى الميتالوغوية للتشفير في النص تلك التي تقوم على تشفير قوي و آخر أقل قوة، من خلال جوهرها أو مادة تكوينها

[1] Opcit. mp.
[2] Ibid. mp.

(Substance)، أي من خلال كل التحديدات بوصفها دوال داخل العلامة اللسانية، فالبحث السيميائي يهدف إلى معرفة كيفية عمل الأنظمة الدلالية غير اللسانية، و ذلك حسب المشروع البنيوي الذي يبتغي بناء نموذج للأشياء الملاحظة، "و إذن لابد في هذا البحث من القبول بمبدأ محدد هو مبدأ المواءمة (Pertinence) المبدأ الذي أقرته الألسنية"[1]، رغم توفر الأحداث المتنافرة لكن يجب أن توجه العناية بها من قبل مفكك السنن من غير أن يسمح لعوامل أخرى مثل : التحليل السيكولوجي، و الاجتماعي، أو الفيزيائي بتغيير مجرى المضمون المحدد أي مراعاة مجال العلامة اللسانية.

بما أن الموضوع الخاص بالدليل يفترض معلومة خاصة عن ذاته من خلال اتصاله بما يوجد بينه و بين الدليل، فإنه من الضروري أن يتوفر على سياق من خلال مؤله، فإننا قبل أن نلج المستوى الماوراءلساني، تواجهنا مؤولات خاصة تعبر في كامل النص عن تحديد هوية التاريخ بالمعنى المضموني، لأن السياق غير معطى من قبل الدليل، فالمؤولات هي التي تربط الموضوع[2] فتمكننا من قراءة النماذج الموالية :

- بطاقة التعريف : وثيقة رسمية تؤكد هوية صاحبها و جنسيته.
- الميناء : مرفأ البحر ترسي فيه السفن.
- المدينة : ما يقابل الحضر أي عكس البادية.
- زاوية سيدي عبد الرحمان : مكان محاط بالقداسة باسم ولي صالح.
- الدار القصديرية : دار بالية هي العرين في النص، يفتقد إلى أدنى متطلبات الحياة.

فهي مؤولات مباشرة[3] تلحق بها مؤولات دينامية[4] تمثل آثار الواقع بما يحتله الدليل من واقعية، أي الأثر الذي يحدث عند المؤول باختلاف الموضوع، سواء كان مباشرا أم

---

[1] محمد السرغيني. محاضرات في السيميولوجيا. ص : 24 – 25.

[2] هنا يشير بيرس : Les interprétants successifs identifient et fixent l'objet avec une précision croissante
و لهذا أنظر : D. S. La séméiotique[1] de Charles S. Peirce. Au-delà de la sémio-linguistique de Charles Sanders Peirce. p : 16.

[3] هنا يقدم بيرس مثالا عن خطوات راقص الباليه التي تصبح علامة لكل راقص على حدى. أنظر : Ibid. p : 19.

[4] فهذا النوع من المؤولات له استقلالية واقعية : (Il va de soi qu'un signe peut produire des effets non séméiotiques, l'envole des abeilles en réponse à la danse...) أنظر : Ibid. p : 20.

ديناميا، باختلاف السياق الخارجي من الناحية التاريخية أو الاجتماعية أو الأسطورية، فهي وسيلة تحول مسار الإستدلال إلى ما يخدم واقع التلفظ داخل النص ظهر عند **رشيد بوجدرة** من خلال اهتمامه بالإحالة إلى التراث، لكن المسعى منه هو بؤرة التفكيك الذي حققته الرواية، "ذلك أن هذه الوسيلة في شطرها التراثي تتصدى لمحرمي الجنس و الدين"[1]، مستخدمة النص تارة (آيات، أشخاص تاريخية... (211)، و "المفردة، أو الصياغة الجملية –بما في ذلك السجع- حينا تارة أخرى، ومحولة الكثير من ذلك إلى ّإيقاع مخرب و منظم"[2].

تبرز داخل مجال التدلال اللامتناهي؛ تمفصلات عديدة ذلك أنه يقود إلى المؤولات النهائية[3]، فالقانون أو الشفرة، أو القاعدة، أو التسميات المتشابهة : دليل، و لذلك لا يصح أن يكون مؤولة أخيرة –لكننا حسب ما يذهب إليه **ريفاتير*(Michael Riffaterre)*** - نرد على هذا الإعتراض بأن القانون دليل من نوع لا يحتاج إلى مؤولة منطقية، فالصورة من ناحية القاعدة التشفيرية "حيث تقوم العلاقة بين الممثل و الموضوع على التشابه بينهما في الصفات و الخصائص، مثال ذلك الصور الشمسية، و الصور السينمائية[4]، أي ما يطلق عليه اسم الأيقون[5] نوضحه في الشكل الموالي :

---

[1] نبيل سليمان. فتنة السرد و النقد. دار الحوار للنشر.ط1. 1994 .ص : 133 – 134.

[2] المرجع نفسه. ص : 134.

[3] لفهم : (La conception aristotalicienne de cause finale et pour comprendre la conception peircienne de l'interprétant final, il convient de se souvenir que tout signe est membre d'une communauté continue de signes) : أي حال الوظيفة الميتاسيميوطيقية أنظر D. S. La séméiotique[1] de Charles S. Peirce. Au-delà de la sémio-linguistique de Charles Sanders Peirce. p : 21.

[4] مايكل ريفاتير. دلائليات الشعر. ص : XLV (التوطئة).

[5] الأيقون كما يوضح غريماس في مادة (Iconicité) متعلق بالسيميوطيقا البصرية أو الموسيقى و كما سبق و شرحنا معناه عند بيرس البحث فإن (Ikona) مصطلح يؤنث أو يذكر استعمله الإنجليز عام 1833، و الفرنسيون كما يوضح محمد السرغيني عام 1830، أما جذره الإغريقي فهو (Eikona)، لمزيد من التوضيح أنظر : محاضرات في السيميولوجيا. ص : 40 و : A. J. G. et J. C. Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage. p : 177.

وثيقة فاضحة تعبر أكثر من أية ورقة رسمية أخرى (11).
تمثل إشهارا لصابون معطر(30).
البرهان(145).
إنها أحسن من بطاقة التعريف(68).
تخلصت منذ أيام قلائل(236).

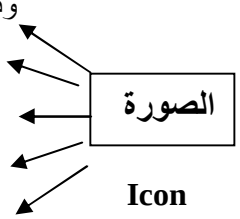

فهي بصمات أفراد خمسة صنعوا جزءا من التاريخ هم على التوالي : الدكتور كنيون، الألماني، سيد أحمد، الطاهر الغمري، علي بوطالب، و إذا قلنا إن هذا الأيقون واضح بوضوح الصورة أو عدمه :

- الصورة الشمسية البالية البنية اللون(239).

فإن العديد من الإحالات المضافة إلى دلالتها الأولى، بوصفها مفهوم تاريخي عرض لقتل زمنيا :

- بحملك إياهم تقتلهم ثانية(108).

إن شرح الصورة و تقديم مواصفات الحبيب، ملفوظات متعددة تستعملها **سالمة** دون أن يكون لقناة الرؤية نصيبها لتحقيق التواصل، و ذلك خوفا من قبل سالمة أن يكون عشيق لطيف يشبه سيد أحمد، "فالأيقونة مثلا : تتضمن كما في الصورة الشمسية التي لها علاقة تشابه (الأيقونة) أو تجاوز (القرينة) معا بموضوعها"[1]، كما تساهم في إحالة المضمون و تعدد الموضوعات و درجات التوجه الدلالي.

إلى جانب أيقون بصري متمثل في الصورة، هناك أيقون سمعي وضحه **أمبرتو إيكو** عن **بورس**[2] فالموسيقى حاضرة في هذا النص؛ "ذلك أن غناء مطرب ما هو بمثابة أيقون عنه"[3]، و عزف "موهلر" أيقون يوجه عنايتنا إلى جانب سمعي مماثل تقريبا للصورة الشمسية، و إن كان استقلال الواحد منها عن الآخر بتحديد لابد أن لا نتجاوزه، لأن هناك ازدواجية بين نوعي الأيقون على الأقل في النموذج الأول من النماذج التالية :

[1] مايكل ريفاتير. دلائليات الشعر. ص : XLVIII (التوطئة).

[2] U. E. La structure absente. P : 172.

[3] محمد الرغيني. محاضرات في السيميولوجيا.دار الثقافة . الدار البيضاء ط1 1987 .ص : 40.

- يقرأ و يسمع الموسيقى القديمة...(120).
- يضع اسطوانة موهلر : سيمفونية الألف...(121).
- و الموسيقى تعاود نفسها ثم تعاود و تعاود...(121).
- كلما ازدادت الموسيقى قوة، و بهرجة ضعف الإحساس...(121).
- فيشغل آلة الأسطوانات، فتعم الموسيقى...(139).
- و تنقر على جمجمته معزوفة الألف...(203).
- تغمره الآن معزوفة الألف، و ما كان قد سمعها من ذي قبل...(251).

إن لهذه الإحالة دور كبير في عملية توجيه الرمز، لأن البعد الرمزي في التعارضات الحاصلة بين أجزائه لا يحتوي على مستوى واحد، لأن الرمز "يمثل فئة أو صنفا من الأشياء و ليس مفردا بعينه، فكلمة "رجل" مثلا تحيل إلى الرجل (بالـــ التعريف) أو فئة الرجال، أي إلى الفكرة العامة للـــ"الرجل"[1]، تماما كما نلفي كلمة الجنس في "التفكك" ضمن النظم الاجتماعية.

فرمز الجنس إن دلة عليه أيقونة من خلال حديثنا عن الموسيقى، فهو رمز أيقوني[2] يحتاج إلى قراء، كما يمكن "أن تكون له أيقونة أو قرينة متجسدة فيه، و مثال ذلك أن كلمة: "تحب" التي هي رمز مترابطة مع الفكرة التي هي الأيقونة الذهنية (الشخص و شخص آخر)"[3]، فالمعزوفة، و الجنس و الصورة سلسلة دلالية مترابطة كل عنصر منها يحيل إلى الآخر :

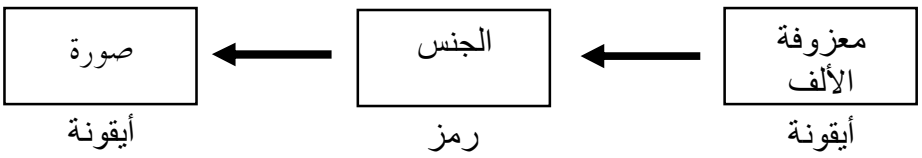

[1] مايكل ريفاتير. دلائليات الشعر. ص : XLVII (التوطئة).

[2] هذه التصنيفات المزدوجة تتحقق من خلال اقتران إما الرمز بالأيقون أو العكس : L'existence de signes mixtes "Icones symboliques et symboles iconiques" أنظر : C. B., W. B., R. M. J. R. La sémiotique phanéroscopique de Charles S. Peirce. Au-delà de la sémiolinguistique - La sémiotique de Charles Sanders Peirce. p : 30.

[3] مايكل ريفاتير. دلائليات الشعر. ص : XLIX (التوطئة).

فهذه إشارة إلى "الفاعل جنسيا في مقابل العاطل جنسيا، قد تبين تضادا لا تربط بين طرفين كلمة رابطة[1] و لا تقدم اعتقادا منظما بين الدين و التعاليم الجنسية التي يريدها المسنن، ذلك أن الجنس :

- رمز لفقدان الرجولة (لطيف)(119).
- رمز للعزلة (الطاهر الغمري)(11).
- رمز للبرود و العجز (سالمة)(05).
- رمز للسخط الإلهي عند الأم(139).

كل هذا يخالف الطابع المعتقدي المفترض داخل النص ماعدا علاقة حميد بزوجته، التي تريد سالمة أن تعطيها طابعا لا عاديا رغم اختفاء حميد النسبي عن الأحداث، فعبر الحرمان الرمزي يظهر الطاهر الغمري غير قادر على الحصول على امرأة و مريض، و لطيف شاذ، و سالمة باردةى جنسيا، العمة فاطمة خنثى، أما الأم في علاقتها الشرعية تسعى إلى إعاقة هذا المسار و الدين، فهناك حرمان جنسي توحي به كل هذه الرموز.

ظهر إلى جانب ما سبق، ما يدخل ضمن المنحوت في المجال الأيقوني، الذي يتمثل في الحبقة و الشمعة المستطيلة المغروسة في التربة (12)، فهي تشبه امرأة متجسدة في تمثال، رغم تحقق التشابه الذي يفرضه المعطى من الناحية الجنسية، صاحبه تواجد رمز لشجرة التوت، و أيضا تصويره في شكل سفينة سيدنا نوح التي نجا بها من الطوفان، فلقد أبان هذا المستوى عن العديد من العلامات الدالة من مؤولات تحيل إلى المضمون الخاص داخل الدلالة الإيحائية أبرزها من الجانب الأسطوري ما يعكسه الجدول الموالي :

[1] روبرت شولز. السيمياء و التأويل. تر: سعيد الغانمي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر .ط1. 1994 .ص : 173.

الموضوع	المركب التعبيري "مئة عام من العزلة"[1]	المركب التعبيري "التفكك"
إنهمار الأمطار	انهمرت الأمطار في ماكوندو...وكانت السماء ترسل عليها عواصف...مرة، و من الجانب الشمالي كانت تهب أعاصير تنتزع السقوف و تقوض الجدران و تستأصل زراعات الموز(161).	استمر هطول الأمطار في لب الصيف، و لم يفهم أحد سبب هذه المبالغة، و تشطح الأشجار(125).
شجرة الكستناء	إن أول السلالة سيربط بشجرة(205).	في كل مكان، و كأن ظليل أشجار الكستناء(250).
النمال	إلتفت حوله نمال الدنيا كلها...و آخرها سوف تأكله النمال (204 – 205).	و تبقى هكذا مطولا عاكفة على تأمل نملة(276).
المذكرات	فجعل يتخطى الصفحات متعجلا...و أسرع يتابع خفايا...(205).	فتقرأ و تلتهم الصفحات إلتهاما، و كأنها تخاف أن يداهمها الموت(279).

كل هذه المؤولات تحقق مرجعية لمؤول[32] و تحقق إحالة عميقة تتدرج ضمن بنية بنية ماوراءسيميوطيقية في تعلقها و الماوراءلسانية، لأن رموزا ليست بمستوى واحد لتحقيق مؤولاتها، أي قدرتها على تحقيق موضوعها فهي بهذا الشكل تمارس إيحاءا لا يقف عند حدود إبلاغ بسيط، بل تفتح مجالا عميقا للدلالة يتجاوز درجة العادية.

[1] رواية لجابريال غارسيا ماركيز. مئة عام من العزلة. دار العودة بيروت. ط1. 1997.

[2] فالرموز حسب بيرس ثلاثة أصناف : Des symboles qui ne déterminent directement que leurs fondements ou qualités imputés et qui ne continuent donc que des sommes de marques ou termes. - des symboles qui déterminent leurs objets au moyen d'un autre terme ou de plusieurs autres termes. - enfin des symboles qui indépendemment aussi déterminent leurs interprétants et ainsi les esprits auquels ils font appel en posant comme prémisses ou plusieurs propositions que ces esprits sont censés admettre, il s'agit des arguments أنظر: Charles Sanders Peirce. Textes fondamentaux de sémiotique. p : 31.